الشهيد

مصطفى شمران رحمه الله

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

سورة الأحزاب

موسوعة رجال صدقوا ٥

خط المقاومة

الشهيد
مصطفى شمران رحمه الله

تأليف

الدكتور علي عبيد البغدادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: **الشهيد مصطفى شمران** رحمه الله

الطبعة: **الأولى**

سنة الطبع: **١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م**

تأليف: **الدكتور علي عبيد البغدادي**

التصميم والإخراج الفني: **حيدر القريشي**

التصحيح اللغوي: **نوره الهيدان**

التنضيد الالكتروني: **حسين الغراوي**

عدد النسخ: **٥٠٠٠ نسخة**

بسم الله الرحمن الرحيم

الشهيد مصطفى شمران رحمه الله

"و ذهبت الى جنوب لبنان حتى اعيش بين المحرومين"

ولد الشهيد القائد مصطفى شمران عام (١٩٣٣م) في مدينة ساوه من محافظة مركزي، ثم ما لبث أن انتقلت عائلته إلى طهران للعيش فيها بعد عام واحد من مولده. وكان الشهيد القائد طفلاً محباً للعزلة غارقاً في التأمل والتفكر متجنباً للصخب والضجيج ومستغرقاً في مشاهدة جمال وجلال الطبيعة والوجود الإلهي. كما كان معجباً بالسماء وعاشقاً للنجوم المتلألئة. وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية في مدرسة (انتصارية) بالقرب من (پامنار) فانه انتقل إلى ثانوية دار الفنون، ثم قضى العامين الأخيرين في ثانوية (البرز) دون مصاريف دراسية، وكان تلميذاً ممتازاً على طوال هذه المرحلة. كما كان يتميز بالرقةوالحساسية المفرطة، ويتألم من صميم قلبه لآلام المحرومين ويشاركهم عناءهم بعواطفه المستفيضة. ولقد كتب هو في مذكراته مصوراً تلك الفترة من حياته، فقال:

"عندما كنت عائداً تحت جنح الليل المظلم، شاهدت شخصاً فقيراً يرتجف من البرد القارس وسط ثلوج الشتاء، غير أنه لم يكن بإمكاني أن أعد له مكاناً دافئاً، فقررت أن أقضي تلك الليلة مثله أرتعش من البرد بعيداً عن المأوى، وقد فعلت؛ فقطعت الليل حتى الصباح وأنا أرتجف من شدة البرودة لدرجة أنني أصبت بالمرض الشديد، وما أجمله من مرض".

"عندما رسب أحد زملائي في الامتحان أخذت أذرف الدموع بحرارة لدرجة أنه شعر بالألم الشديد، فأخذ يهدئ من روعي قائلاً: ليس مهمّاً، لا تحزن إلى هذه الدرجة".

وفي عام ١٣٣٢هـ.ش التحق الشهيد القائد مصطفى شمران بالكلية الفنية في جامعة طهران وبدأ دراسته في قسم الهندسة الكهربائية، ولّما كانت تلك الفترة متزامنة مع مرحلة الانقلاب فإنه اضطلع بالنشاط الواسع في النضال السياسي الشعبي والتظاهرات الخطيرة المناوئة للنظام الملكي.

فحيثما كان الألم والعناء والعمل والمسؤولية والمشاكل والمخاطر، كان الشهيد القائد حاضراً؛ فكان يركب الخطر وسط التظاهرات العارمة وأمام الإطلاقات النارية وفي مواجهة الدبابات وفي خضم المسؤوليات الكبرى، وكان دائماً ما يعرض نفسه للخطر من أجل إنقاذ حياة زملائه. لم يكن يشارك في مراسم الأفراح والمسرات، وكانت سعادته الكبرى في إسعاد الآخرين وتحمل آلامهم، لدرجة أنه كان يشعر بالضيق والقلق عندما تسترعيه الضرورة لحضور أحد الأفراح، لأنه كان دائم التفكير في شقاء البؤساء والمحرومين من مثل هذه المتع والمباهج.

ومع انخراطه الكامل في كل هذه المشاكل ومشاركته الفعالة في ميادين الصراع السياسي والاجتماعي ألاّ أنه تخرج من الجامعة بدرجة ممتاز وكان الأول على دفعته حتى إن أساتذة وطلاب تلك الكلية ظلوا يتناقلون اسمه على ألسنتهم عدة سنوات؛ ويقول الشهيد القائد مصوراً مشاعره وعواطفه في تلك الأيام:

"أذكر أنني كنت أذهب إلى الجامعة، وكان الثلج يتساقط والجو بارداً، وتمرّ عليّ أيام ولم يكن لديّ من النقود شيء، وكنت أقطع الطريق الطويل من المنزل إلى المدرسة مشياً مما كان يستغرق أكثر من ساعة ونصف، وهو الأمر الذي كان يجعل يديّ وقدميّ تتجمدان من شدة البرد، غير أنني لم أكن أطلب نقوداً من أحد. وكان والدي كثيراً ما يلحّ عليّ بإعطائي النقود ولكني لم أكن لأقبل ذلك، حيث كان من العسير عليّ جداً أن أتقبل شيئاً من أحد، ولاسيما عندما كنت أتعرض للضغوط الشديدة مع قسوة الحياة. وظل هذا الإحساس ينمو ثم يلقي بظلاله على كل حياتي ويؤثر بشكل فلسفي عميق على شتى أفكاري وأفعالي".

لقد كان الشهيد القائد يمارس التدريس منذ الصغر ويسدّ بعض حاجياته من ذلك الطريق؛ لقد كان عبقرياً في الرياضيات وخصوصاً في الهندسة لدرجة لا يشق له فيها غبار، وعندما كان الاستاذ يعرض حلاً لإحدى المسائل كان هو سرعان ما يعرض حلاً أفضل. وعلاوة على ذلك فإنه كان يحضر درس تفسير القرآن الكريم لدى المرحوم آية الله الطالقاني في مسجد (هدايت) كما كان يحضر دروس الفلسفة والمنطق عندما كان طالباً جامعياً لدى الأستاذ الشهيد آية الله مرتضى المطهري، وكان عضواً نشطاً في اتحاد الطلبة المسلمين عندما كان يتهم المسلم المتدين بالرجعية والتخلف. ومع أن الجامعة في تلك الفترة كانت خاضعة للسيطرة السياسية الشيوعية من جانب حزب (توده) وعندما كان مسجد الجامعة لا يتجاوز حجرة صغيرة مهملة في الكلية الفنية لا يدلف إليها ألاّ قلة من الطلبة مع الكثير من الخوف جراء ما يمارس ضدهم اليساريون من إهانة وتصفية سياسية، ألاّ أنه كان أحد الذين أضفوا رونقاً وبهاءً على ذلك المصلى بحضورهم المتواصل، لدرجة أن أول كلية استطاعت أن تعبئ قواها الدينية والوطنية ضد قواعد اليساريين (أعضاء حزب تودة) وتقضي عليها في اتحاد الطلاب كانت في الواقع هي الكلية الفنية في جامعة طهران.

وبعد الحركة الانقلابية في الثامن والعشرين من شهر مرداد وتأسيس جمع من رجال الدين والسياسة لنهضة المقاومة الوطنية، فإنه أصبح ممثل الكلية الفنية في هذه النهضة. وعندما وقعت تلك الحادثة الدموية في السادس عشر من شهر آذر سنة ١٣٣٣هـ.ش التي أطلق خلالها جلاوزة الشاه الرصاص على الطلبة فقتلوا ثلاثة منهم في ممرات الكلية الفنية لدى قدوم الرئيس الأمريكي نيكسون، فإن الشهيد القائد كان أحد الذين أصيبوا بجراح طفيفة في ذلك اليوم. كما كان هو الذي كتب مقالاً في ذلك الزمان وصور فيه شتى أبعاد ومشاهد حادثة يوم السادس عشر من آذر، وهو ذلك المقال الذي نُشر في أمريكا فيما بعد في مطبوعة بنفس هذا الاسم. وفضلاً عن كفاءته الدراسية والعلمية العالية فإنه كان يتمتع

أيضاً بذوق فني وحس عرفاني ممتاز. فخطه الجميل ورسومه الرائعة وكتاباته السلسة وكذلك خصوصياته العقائدية البارزة في قوله وسلوكه تجعله متميزاً عن أترابه منذ شبابه المبكر. ومع أنه كان يبدو نحيفاً ألاّ أنه كان يبز أقرانه في المصارعة والرياضة الميدانية. ولهذا فإنه كان يحب المصارع البطل (تختي) وكتب مقالاً تجليلاً له بعد موته تحت عنوان (المصارع الشهم تختي).

وبعد حصوله على البكالوريا عمل الشهيد القائد مدرساً في نفس الكلية التي تخرج منها، إلى أن حصل على منحة دراسية لإكمال دراسته في أمريكا حتى درجة الدكتوراة بصفته طالباً ممتازاً. وبحصوله على درجة الماجستير بتقدير ممتاز في الهندسة الكهربائية من جامعة تكساس الأمريكية، انتقل إلى جامعة بركلي للحصول على الدكتوراة، وخلال ثلاث سنوات حصل الشهيد القائد أيضاً على درجة الدكتوراة في الإلكترونيات والفيزياء الحيوية (هندسة الطاقة النووية) بامتياز من جامعة بركلي متفوقاً على زملائه من الطلبة القادمين من شتى أنحاء العالم وتحت إشراف أبرز الأساتذة في هذا الحقل. والمثير للدهشة أن الشهيد جمران أبرز تفوقه الدراسي والعلمي بينما كان منخرطاً في نفس الوقت في خضم النضال السياسي والعقائدي، وهو ما أثار دائماً إعجاب الأصدقاء والأعداء. وكان في تلك الفترة يعتمد في الحصول على نفقات حياته من عمله في التدريس والأبحاث، وذلك لأن السافاك كان قد حجب عنه منحته الدراسية بحجة نشاطه السياسي ضد نظام الشاه.

ومن أبرز مآثر حياة الشهيد القائد السياسية والاجتماعية تأثيره ودوره المتفرد في تأسيس التجمعات الطلابية ضد نظام الشاه وخصوصاً الاتحاد الإسلامي للطلبة في أمريكا. وتعتبر السيطرة على اتحاد الطلبة الإيرانيين في أمريكا من أهم تحركاته السياسية هو ورفاقه في تلك الفترة (عام ١٣٤٠هـ.ش) حيث كان هو أحد أبرز مؤسسي اتحادات الطلبة الإيرانيين في أمريكا. وتقديراً لدوره الممتاز وكفاءاته العالية والفريدة فقد انتخبه اتحاد الطلبة الإيرانيين في أمريكا غيابياً كأول عضو

فخري دائم فيه (عضو شرف) وذلك في اجتماعه التاسع عام ١٩٦٢م. غير أن هذا الإجراء لم يدخل حيّز التنفيذ وذلك بسبب الصراع الدائر بين اليساريين والوطنيين في الاتحاد، مما جعل الشهيد جمران يركز جهوده على تقوية الاتحاد الإسلامي للطلبة المقيمين في أمريكا، وفضلاً عن ذلك فانه أكد حضوره الدائم ومشاركته الفعالة في شتى التجمعات السياسية ــ الوطنية المناوئة لنظام الشاه. وكمثال على ذلك انتماؤه إلى الجبهة الوطنية الثالثة، وإصدار شهرية فكرية باسم (جبهة) ونشرة خبرية تحت عنوان (الجبهة الوطنية في أمريكا) بمساعدة عدد من زملائه. كما أن خطاباته في جموع الطلبة ومحافل الجبهة الوطنية والاتحاد الإسلامي وسواها، وكذلك كتابة المقالات المتعددة باسمه الأصلي أو باسم مستعار مثل مقالات (الثورة) و(حكومة علي) و(البيان الديمقراطي) تعد كلها من صور حضوره السياسي البارز والفعال في عرصات المواجهة السياسية.

ففي تلك المسيرة التي نُظمت في عهد "كنيدي" من مدينة "بالتيمور" إلى "واشنطن" والتي امتدت على مسافة تسعين كيلو متراً كان هو أنشط المشاركين وكان يسير في المقدمة دائماً، والمدهش في ذلك أنه لم يكف عن أبحاثه وأحاديثه في العرفان والسير والسلوك الروحي على طوال الطريق.

كما كانت له مشاركة فعالة في الاضراب عن الطعام الذي نظم داخل مصلّى منظمة الأمم المتحدة احتجاجاً على اعتقال ومحاكمة آية الله الطالقاني وأصحابه، حيث كتب من هناك رسالة إلى شقيقه يقول فيها:

"اكتب إليك هذه السطور بآخر رمق من حياتي".

وإضافة إلى كل ذلك فقد كان له حضور مؤثر ومشاركة فعالة في التظاهرات الكبرى والواسعة التي نظمها الطلبة الإيرانيون في أمريكا في أعقاب مذبحة الخامس عشر من شهر خرداد. كما كان له دور مؤثر ومصيري في التظاهرات التي أقيمت أمام محل إقامة الشاه عند زيارته لأمريكا عام ١٣٤٣هـ.ش، حيث اضطر نظام الشاه إلى إرسال عدد من عملاء السافاك ــ بلغ المئات ــ من إيران إلى أمريكا

للهجوم على جموع المتظاهرين وتفريقهم بعد أن فشلت السفارة الإيرانية في خداع المتظاهرين.

لقد كانت روحه لا تنتعش ألاّ بخوض غمار الجهاد، وكان حبّه للعالم والكون والبشر وحتى لمن يقفون ضده يبلغ ذروته لدرجة ان أصدقاءه في ذلك الزمان أطلقوا عليه لقب "إله الحب".

ولكن هذا الرجل صاحب الروح الشفافة والمرفرفة والعزم المتين والإرادة الصلبة أدار ظهره لكل المظاهر المادية بعد نضهة الخامس عشر من خرداد الدموية والاعتقاد بتراجع النضال القانوني والبرلماني، وتوجه إلى مصر مع عدد من أصدقائه المؤمنين والمخلصين لتعلم فنون القتال والاستعداد لخوض الحرب المسلحة ضد النظام البهلوي. وكان ذلك في نفس الوقت الذي بعثت فيه نهضة المقاومة الفلسطينية بكوادرها إلى مصر للتدريب أيضاً، حيث قضى الشهيد القائد عامين شارك فيهما بعدة دورات للتدريب العسكري وفنون النزال وجهاً لوجه وحرب العصابات والعمل الفدائي، ثم أخذ هو على عاتقه مسؤولية تدريب المقاتلين الإيرانيين على تعلم تلك الفنون.

ولأن الشهيد القائد كان يتمتع بالفكر الديني الأصيل والعميق فإنه كان يعتقد بأن الاشتراكية والوطنية بلا إسلام من شأنها بث الفرقة والتشتت بين المسلمين؛ ولهذا فإنه كان على خلاف تام مع النزعة الوطنية والقومية التي سادت البلدان العربية في تلك الفترة كبديل عن الوحدة والقومية الإسلامية، وهو ما جعل المناضلين الإيرانيين ينقلون قواعدهم إلى لبنان جراء تلك الخلافات والصراعات الفكرية ومن ثم موت جمال عبد الناصر.

يقول الشهيد شمران في أحد اللقاءات التي أجريت معه:

"بالطبع كانت لنا صراعات مع بعض الأجنحة القومية العربية المتطرفة، كما أننا قدّمنا احتجاجات إلى عبد الناصر بسبب إطلاق اسم الخليج العربي على الخليج الفارسي أو إطلاق عربستان على خوزستان، وقد قبل عبد الناصر هذه

الاعتراضات واعترف بصحتها، وقال: إن تيار القومية العربية بلغ من القوة بحيث لا يمكن مقاومته بسهولة. كما أعرب لنا عن أسفه حيث أنهم لم يدركوا بعد أن معظم هذه التحركات يقوم بها الأعداء من أجل شق الصف الإسلامي، وقال لنا إن الشيء الوحيد الذي يستطيع فعله هو أن يسمح لنا بالحديث بحرية، فربما استطعنا توضيح الأمور للعرب وإقناعهم بأن كل هذه المشاريع ليست سوى مشاريع للتفرقة ولا ينبغي مواصلتها".

غادر الشهيد شمران مصر إلى أمريكا لفترة وجيزة بهدف الإعداد لهجرته الكبرى إلى لبنان. وطبقاً لدعوة من سماحة الإمام القائد السيد موسى الصدر، فإنه وصل إلى لبنان أواخر سنة ١٣٤٩ وانضم إلى حركة المحرومين بطلب من سماحة الإمام القائد السيد موسى الصدر.

ونقرأ في صفة مخطوطة من مذكراته:

"لقد كنت أحيا حياة رغدة في أمريكا، وكنت أملك شتى الإمكانات، ولكني طلقت اللذائذ ثلاثاً وذهبت إلى جنوب لبنان حتى أعيش بين المحرومين والمستضعفين وأتذوق فقرهم وحرمانهم وافتح قلبي لاستقبال آلام وهموم هؤلاء البؤساء. لقد أردت أن أظل دائماً في مواجهة خطر الموت تحت القنابل الإسرائيلية، جاعلاً لذتي الوحيدة في البكاء وأنا أبث السماء أهاتي الحارقة في سكون الليل وظلمته، وحيث إنني عاجز عن مد يد العون لهؤلاء المظلومين المسحوقين فيمكن أن أواسيهم بالحياة بينهم كما يعيشون فاتحاً أبواب قلبي لاستقبال حزنهم وشقائهم. لقد أردت ألاّ أحشر في هذه الحياة الدنيا مع زمرة أولي النعمة والجائرين وألاّ أتنفس من أجوائهم وألاّ أقرب لذائذهم وألاّ أبيعهم علمي وفكري في مقابل حفنة من المال ولحظة من لذة الحياة".

ولأن الشهيد القائد جاء إلى لبنان بنية إقامة قواعد للجهاد، فإنه توجه منذ اللحظة الأولى إلى أقصى نقطة في الجنوب إلى قاعدة الإمام القائد السيد موسى الصدر مدينة "صور" وأخذ على عاتقه إدارة المدرسة الصناعية في مؤسسة جبل

عامل ـ البرج الشمالي على بعد خمسة كيلومترات من "صور" بجوار المخيمات الفلسطينية. وكان اليتامى من أبناء الشيعة اللبنانيين يدرسون في هذه المدرسة، وهم الذين صاروا فيما بعد الكوادر الأصلية للخط الأول في المقاومة الشيعية ضد الكيان الصهيوني.

وفي المدرسة الصناعية لجبل عامل كان التلاميذ يدرسون العلوم ويتعرفون تكنولوجيا العصر ويتدربون في الورشات المختلفة التي بناها الشهيد شمران بنفسه، كما يؤدون فيها بعض الأعمال لسد حاجتهم المالية، مما كان سبباً في نمو تجربتهم العلمية. وكان هؤلاء الشباب هم الذين قاوموا ببسالة الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان، ولاشك أن اسم هذه المدرسة وهؤلاء الشباب قد بات محفوراً على صفحات تاريخ الكفاح في لبنان كنموذج بارز للشجاعة والتضحية والإيمان.

ولأن هذه المدرسة كانت تقع بجوار المخيمات الفلسطينية مع وجود الأهداف المشتركة والشعور بالصداقة الحميمة من جانب الدكتور جمران، فإنها قدّمت خدمات جليلة لهذه المخيمات لدرجة أن منظمة الأمم المتحدة بعثت برسالة تقدير خاصة للدكتور الشهيد.

وفي لبنان كان سماحة القائد الإمام موسى الصدر قد بدا نشاطاته الثقافية والاجتماعية الواسعة منذ سنوات بغية إحقاق حقوق الشيعة المحرومين في لبنان وإعادة العزة والكرامة إليهم، حيث كانوا يخجلون في إظهار تشيعهم ويتقمصون شخصية أخرى بطرق ووسائل مختلفة من قبيل الزواج من غير الشيعة أو محاولة الحصول على بطاقة للعضوية في أحد الأحزاب اليسارية. وكان وجود شاب مثقف ومناضل وواعٍ ومنظم وجذاب كالدكتور شمران بجانب سماحة القائد الإمام موسى الصدر في مثل هذه الظروف من شأنه أن يؤدي دوراً مفعماً بالأمل والشجاعة والحركة على هذا الطريق الوعر المليء بالعقبات.

كان الشيعة اللبنانيون يشكلون أكثر من ثلث مجموع السكان في لبنان، ولكن أحداً لم يكن يعيرهم اهتماماً آنذاك، وكانوا محرومين من أغلب الامتيازات

القومية. إذ أن من يمثلهم (من الإقطاع السياسي) كان نقمة للطائفة ،ومن المعلوم أن لبنان بلد تسكنه قوميات مختلفة تعتنق مذاهب متعددة ولها ثقافات متباينة، فهناك المسلمون (شيعة وسنة) وهناك المسيحيون (مارونيين وأرثوذكس وأرامنة وسواهم) وهنالك أيضاً الدروز.. وما عدا ذلك. وكانت كافة هذه القوميات في تلك الفترة لديها تشكيلات ومؤسسات سياسية ودينية مستقلة ماعدا الشيعة، وهنا أتت مطالبة الإمام القائد بإنشاء مجلس إسلامي شيعي أعلى للطائفة ، إلى أن خضع الحكام في لبنان لمطلب الإمام القائد بعد نضال متواصل في هذا المجال، فبرز إلى الوجود لأول وهلة "المجلس الشيعي الأعلى في لبنان" برئاسة القائد الإمام السيد موسى الصدر .

وكان الشيعة هم الوحيدين في لبنان الذين يعيشون بيد عزلاء، فلم يكن باستطاعتهم الدفاع عن حقوقهم المستلبة، وذلك في وقت كان العدو الصهيوني قد ركز كل هجماته على المناطق المحرومة في الجنوب بشكل عام. وعلى هذا فقد تأسست "حركة أمل" المباركة المنبثقة عن "حركة المحرومين" التي كانت حركة شعبية مدافعة عن "المجلس الشيعي الأعلى". وكان الدكتور شمران من المؤسسين مع سماحة القائد المغيب .

يقول الدكتور شمران موضحاً بداية نشاطاته حتى تشكيل حركة أمل:

"كانت توجد مدرسة باسم مدرسة جبل عامل الصناعية في جنوب لبنان، وكانت تسمى أيضاً بالمدرسة المهنية، وقد أصبحت مديراً لهذه المدرسة الواقعة بجوار أحد المخيمات الفلسطينية، وهو أكبر هذه المخيمات في جنوب لبنان... كما أسسنا أيضاً اتحادات إسلامية في لبنان على غرار الاتحادات الإسلامية الموجودة في أمريكا وأوربا. وكان الشباب الشيعة في لبنان من أفضل الشبان، حيث عملت معهم على المحور الايديولوجي لمدة عامين، وهو النشاط الذي تفتق عن تأسيس "حركة المحرومين" فيما بعد. أي أن هؤلاء الشباب كانوا هم العمود الفقري لحركة المحرومين الكبرى. وقد نظمت حركة المحرومين عدة تظاهرات واسعة، ومنها

تظاهرات بعلبك التي شارك فيها خمسة وسبعون ألف شاب مسلح، وكذلك تظاهرات مدينة صور التي شارك فيها مائة وخمسون ألف مسلح، وأقسم فيها الشيعة اللبنانيون على مواصلة طريق الجهاد من أجل إحقاق حقوقهم المسلوبة حتى آخر قطرة من دمائهم. وهذا هو أحد نماذج النشاط السياسي لحركة المحرومين. وعندما تفجر الصراع في لبنان، وامتلأت الساحة بالمسلمين من شتى الاتجاهات، ولم يكن بوسع أية طائفة سوى التسلح حفاظاً على البقاء، فإن حركة المحرومين أقدمت على تشكيل حركة عسكرية باسم "أمل" التي كانت في الواقع هي الفرع العسكري لحركة المحرومين. وكنّا قد انتقينا أعضاء حركة أمل من بين أفضل الأشخاص كفاءة وتديناً من المتخرجين في دورة إعداد الكوادر. واستطيع أن أقول حقاً بان شباب حركة أمل هم الذين تعرف معظمهم الإسلام الصحيح وانطلقوا في جهادهم على هذا الأساس".

ولم يكد يمضي سوى أربعة أعوام على بدء الدكتور شمران لنشاطاته حتى اشتعل فتيل الصراع والحروب الداخلية في لبنان.

وفي الحقيقة فإن هذه الحروب كانت هي التي مهدت الطريق أمام (العدو الصهيوني) لاجتياح لبنان، وكانت هي التي أضافت المزيد من الحرمان والفقر لأوضاع الشيعة؛ كما كانت هي التي حركت الحرب الطائفية، وأوقعت الصدامات بين الشيعة والعناصر اليسارية المأجورة للعراق أو للمنظمات اللبنانية والفلسطينية العميلة من جهة أخرى. ولقد ازدادت الأمور سوءًا فيما بعد، حيث اسفرت هذه المأساة عن خلافات وانشقاقات في الصف الوطني اللبناني المناوئ للعدو وحرف أنظار الوطنيين عن الفتنة والاعتداءات الإسرائيلية، ولهذا فإن النهضة والانتفاضة المقاومة في لبنان اللبنانية ضد العدوان قد تحولت على الأثر إلى حركة شعبية بدون أدنى أثر للدور المؤثر والفعال للتنظيمات السياسية والعسكرية السابقة.

وكان رفض الإمام القائد السيد موسى الصدر لهذه الصراعات والحروب الداخلية ينبع من التأكيد على أن البندقية يجب أن تتوجه إلى صدر العدو

الصهيوني ، وهذا ما كان يؤمن به الشهيد شمران ، وهذا ما أكده الأخ الرئيس الحاج نبيه بري غلا أن الظروف التي جعلت من الحركة طرفاً للصراع كان أمراً مفروضاً وكان بمثابة كأس مر تجرعته الحركة وأرغمت على الدخول في هذه السجالات .

حيث يقول الشهيد شمران في كتابه (لبنان):

"إن إيماني بالثورة هو الذي دفعني لاتخاذ خطوة على هذا الطريق مما عرضني دائماً للخطر والموت، غير أنني لم أكن لأخشى الموت مع إيماني بالهدف وتحرير فلسطين؛ ففتحت ذراعيّ لاستقبال شتى المخاطر، على أنني لم أعد أؤمن اليوم بهؤلاء الثوار، ولم أعد راضياً ولا مقتنعاً، فلقد فقدوا شخصيتهم الثورية، ولا أعتقد أنهم يهدفون إلى تحرير فلسطين.

وكلما حاولت إرضاء نفسي وإقناع قلبي بأن المقاومة الفلسطينية هي تلك الشعلة المقدسة التي ينبغي الحفاظ عليها من أجل تحرير البشر والسهر على بقائها بالقلب والنفس والروح، فإنني لا أستطيع ذلك، وللأسف، أو على الأقل أجدني أخدع نفسي وأهيم في خيالات الثورة المعسولة وأتمنى أن أتجرع كأس الشهادة الأوفى". وهاهو يشتكي إلى الله قائلاً: "يا إلهي، إننا نتحمل كل هذا الظلم والعسف والتهاجم والتهم بصدر رحب وفي سبيلك ومن أجل تحقيق الهدف المقدس وهو تحرير فلسطين، ولسوف نظل بجانب الفلسطينيين رغم كل ذلك دون أن ندخر جهداً في بذل شتى ألوان التضحية على طريق تحرير فلسطين". ولقد عملت أيادي التفرقة الصهيونية من جهة وخيانة العملاء المارونيين والفلسطينيين من جهة أخرى على إيجاد جو قاتل وباعث على القنوط لدرجة أن الشهيد جمران يصور ذهاب آماله مع الريح في بعض كتاباته، فيقول:

"يا إلهي، لقد شددت الرحال إلى هذه البلاد تحدوني الطموحات الكبرى؛ تلك الطموحات النقية والمقدسة والإلهية التي لا يشوبها شيء من حب النفس أو الاندفاع. لقد كنت أرجو أن أبذل نفسي في سبيل الثورة الفلسطينية كوثيقة على

تحرير فلسطين. وكنت آمل أن أحج إلى القدس سيراً على الأقدام وأسجد هناك لله تعالى شكراً على لطفه ورحمته. وكنت أحلم أن أجاهد في سبيل الحق والعدل وأن أكون خلاًّ وعوناً للمحرومين والبؤساء والمساكين.

وكنت أرجو... كنت أرجو أن أكون شمعة تحترق من أعلاها إلى أسفلها حتى أدفع الظلمة إلى الانقشاع ولا أدع مجالاً للكفر والجهل والظلم للسيطرة على الوجود... وأما الآن، فقد تخليت عن الآمال، واستسلمت للقضاء والقدر بقلب مصدوع يائس. أخطو نحو الموت فقيراً بائساً بعد أن أدركت بأنني أيضاً لم أكن أفضل ولا أرفع منهم خلال كل هذا التاريخ المشحون بالآلام".

وتعتبر بعض حكايات كتاب "لبنان" التي عايشها الشهيد شمران بنفسه على قدر من الألم والشجاعة بحيث تصلح كل منها لإنتاج فيلم رائع ومؤثر حول الشهامة والشجاعة والحرمان والمظلومية التي تميز الشيعة اللبنانيين.

ومن ذلك قصة (النبعة) والحصار الذي فرضه عليها الكتائب لعدة أشهر، وذكريات الشهيد جمران حول تلك المنطقة ومسجدها وقاعدتها لإعداد الكوادر ومستشفاها، وكذلك قصة شارع أسعد الأسعد في منطقة الشياح وإقدامه على إنقاذ طفل وأمه في براثن الموت، وأيضاً ملحمة بنت جبيل.

في يوم ٣١ أب ١٩٧٨م وقعت حادثة اختطاف الإمام القائد السيد موسى الصدر الذي كان بمثابة قاعدة محكمة وضمانة قوية للبنان والمنطقة؛ وكان ذلك على أعتاب انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وفي تلك الأيام كان الشهيد شمران يحترق بنار الحسرة والألم على اختفاء الإمام القائد السيد موسى الصدر من ناحية، ومن ناحية أخرى فانه كان هائماً في حب انتصار الثورة الإسلامية . وكان هذا الاحتراق والشوق اللذان تتجلى فيهما العاطفة والشعور بالمسؤولية يمثل كل منهما أملاً غالياً بالنسبة له؛ فبينما كان يبذل المساعي لتقصي حقيقة اختفاء الإمام القائد السيد موسى الصدر، كان في نفس الوقت متأهباً للقيام بدوره كقائد حركي في انتصار الثورة الإسلامية؛ فقد قام هو ومجموعة كبيرة من مجاهدي الحركة بالمزيد

من التحريات حول اختفاء الإمام القائد السيد موسى الصدر ثم ما لبثوا أن أوقفوا الإمام الخميني (قده) على نتيجة هذه المساعي، كما بعث به الإمام عدة مرات عندما كان مقيماً في نوفل لوشاتو كممثل له إلى ليبيا من أجل تقصي لأمور، ولكن بلا جدوى للأسف. لقد كان دائماً ما يوجه الأنظار قدر استطاعته إلى مظلومية المحرومين في لبنان، وينادي بعظم المسؤولية الإسلامية والوطنية تجاه قضية الإمام القائد السيد موسى الصدر. ولهذا فإنه نظم عدداً من الاضرابات العامة والتظاهرات الواسعة في لبنان بهذا الصدد، كما نظمت مسيرة كبرى من بيروت إلى دمشق بقيادة سماحة المفتي الجعفري الممتاز العلامة المجاهد الشيخ عبد الأمير قبلان والشهيد القائد شمران لدى اجتماع عدد من قادة ورؤساء الدول الإسلامية في سوريا. ألاّ أن كافة هذه المحاولات والتحديات لم تسفر عن نتيجة واضحة، ومازال مصير هذا الزعيم الإسلامي مجهولاً. كانت الثورة الإسلامية في إيران تخطو كل يوم خطوة جديدة نحو النصر؛ فقد لاذ الشاه بالهرب من إيران وعاد الإمام الخميني (قده) إلى أرض الوطن بعد خمسة عشر عاماً من النفي والجهاد. ولأنه كان من المتوقع أنه لا مفر من وقوع صراعات دموية في المراحل الأخيرة من الانتصار بين المناضلين والمجاهدين من جهة وبين الماكينة العسكرية للنظام من جهة أخرى، فإن الدكتور شمران ومعه عدد من شباب الحركة المجاهدين الذين أنهوا تدريباتهم العسكرية في لبنان أخذوا يتأهبون للعودة مع الشهيد شمران إلى إيران. وكأن التاريخ كان يمر دفعة واحدة في تلك الأيام، حيث كان كل يوم يعادل عاماً كاملاً من الأحداث؛ فقد وقعت صدامات دموية في العشرين وحتى الثاني والعشرين من بهمن، وأعرب خمسمائة من شباب الحركة المجاهدين المتحمسين والمشتاقين عن رغبتهم في الانضمام إلى إخوانهم الإيرانيين. يقول الشهيد الدكتور شمران:

"لقد فكرنا نحن أيضاً في إعداد خمسمائة من مقاتلي حركة "أمل" والنزول إلى ساحة المواجهة، فتحدثنا مع الحكومة السورية التي أبدت استعدادها لأن تضع تحت تصرفنا طائرة مع ما يلزمنا من معدات حتى نهبط بهذا العدد من مقاتلي أمل

حيثما شئنا حتى لو كان ذلك في "فرح آباد" أو في وسط شوارع طهران. وكنت أنا المسؤول عن هذه العملية لأخوض بهؤلاء المقاتلين مع ما لدينا من معدات غمار المعركة. وليس بوسعي التعبير عما كان يشعر به هؤلاء الشباب من شوق وحرارة وعاطفة للقدوم إلى إيران والاستشهاد بجوار إخوانهم الإيرانيين. وكما تعلمون فإن المواجهة في طهران لم تستمر لأكثر من أربع وعشرين ساعة، وربما أقل من ذلك، حيث لاذ الطاغوت بالفرار وانتصر الشعب. ولهذا فلم تتح الفرصة أمام هؤلاء المقاتلين الذين هم من خيرة نجوم الحرب ولا سيما الحرب الفدائية للمجيء إلى إيران والمشاركة في المواجهة بجانب إخوتهم الإيرانيين". وفي خضم انتصار الثورة الإسلامية، وانضماماً إلى أمواج المد الثوري العارم، فقد أبرق الدكتور شمران إلى أحد أعضاء الحكومة المؤقتة بضرورة إعلامه بالقدوم فيما إذا كان وجوده في إيران مفيداً. ولكن، وفضلاً عن عدم الرد على هذه المخابرة، فإنهم حجزوا الشهيد شمران عندما جاء برفقة اثنين وتسعين من الشخصيات اللبنانية بمن فيهم علماء الشيعة والسنة وممثلون عن المقاتلين من الحركة لمقابلة الإمام الخميني في إيران لمدة ثماني ساعات داخل الطائرة في مطار مهرآباد للحصول على تأشيرة الدخول (رغم إرسال عدد من التلكسات من داخل الطائرة). وأخيراً عاد الشهيد شمران إلى أرض الوطن بعد اثنين وعشرين عاماً من الهجرة والمنفى مفتتحاً هذه العودة بلقاء الإمام الخميني. وكان هو أفضل رسول قادم من لبنان حاملاً معه الكثير من أسرار وألغاز هذا البلد. وفي الشهور الأولى من عودته إلى إيران نُظمت له عدة لقاءات لإلقاء سلسلة من الأحاديث في المحافل المختلفة حيث كان محور خطاباته شجاعة وبطولة مجاهدو حركة أمل وما عانوه من مظالم وآلام وما قدموه من شهداء. يقول الشهيد شمران في كتابه "لبنان":

"إنني قادم من جبل عامل، حيث دعا الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري إلى الإسلام الصحيح هناك ولأول مرة، وبنى في تلك الديار مسجداً لعبادة الله الواحد... إنني قادم من جبل عامل الذي عانى سكانه من الظلم طوال ١٤٠٠ عام

من تاريخ الإسلام.. إنني مندوب المحرومين في جنوب لبنان الذين يحترقون كل يوم بنيران المدفعية الثقيلة وقنابل الطائرات الإسرائيلية. لقد جئت من أرض أبيد أكثر من نصفها بشكل تام... جئت لأرفع صرخة الشيعة اللبنانيين المدوية تحت سماء إيران العالية. إنني آهة اليتامى المعذبين الموجعة الذين يستيقظون من شدة الجوع عند انتصاف الليل بلا يد رحيمة تمسح عن قلوبهم العناء. إنهم يعيشون رهن الخوف من الظلمة والوحدة دون أن يجدوا صدراً دافئاً يأوون إليه. إنني أنة الفجر المنبجسة من صدور الأرامل المحترقة، مرفرفاً ذات اليمين وذات الشمال مع نسيم السحر بحثاً عن الأفئدة والضمائر الحية، وعندما يعروني التعب فأسقط يائساً خالي الوفاض من الأمل، أتحول إلى قطرة من الدموع تتساقط كالأنداء على حافة الأوراق.

إنني أمل ذوي القلوب الحية الساهرين على العدل والانصاف، وإنني هارب من كل هذا العالم الغارق في الظلم، وكلي أمل في النصر الذي سيتحقق بظهور المهدي (عج) الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً". إن هذا الاهتمام الخاص الذي يوليه لشيعة لبنان وتاريخهم المفعم بالعناء والشقاء والذي هو جزء من الثورة الإسلامية يثير حساسية أولئك الذين ربما كانوا تحت سيطرة التجار من القادة الفلسطينيين فيثيرهم عليه تذكره للشيعة اللبنانيين حتى في إيران.

فيكتب الشهيد شمران قائلاً بهذا الصدد:

"إن البعض يتهمونني بالاهتمام الفكري بالدول الأجنبية ووضع مصالح إيران تحت التأثير الأجنبي، ويقولون بأنه يجدر بي صب كل اهتمامي على إيران دون سواها كلبنان وغيره من الدول:

أولاً: إن اهتمامي وقلقي الشديد يتعلق بإيران دون سواها، فأوضح أن أخطار الثورة تهددنا وإنني أتحدث عن هذه المواضيع حفاظاً على إيران.

ثانياً: إنني أمضيت في لبنان ثمانية أعوام كانت مزيجاً من العناء والمخاطر وصراع الموت والحياة والشهادة؛ فلو كان ثمة من يريد أن يعرف شيئاً عن لبنان

والإمام القائد السيد موسى الصدر فإنني أفضل مصدر مطلع للراغبين. وإن الذي يثير دهشتي هو تأثر البعض بكتابات اليساريين واليمينيين وعملاء الأجانب".

وعاد الشهيد شمران فعُيّن وزيراً للدفاع باقتراح من مجلس الثورة وأمر من الإمام الخميني (قده)، وذلك بتاريخ ١٣٥٨/٨/١٦. وكان أول شخص غير عسكري يتولى هذا المنصب.

وبعد تسلمه للمنصب الجديد، انخرط الشهيد شمران في إعداد سلسلة من البرامج الواسعة والتأسية أملاً في تبديل الجيش إلى مؤسسة ثورية متطورة. ومن أبرز تلك البرامج تنقية الجيش بناءً على أسس منطقية وصحيحة، وإقرار العلاقات العادلة والحميمة والقلبية القائمة على الترتيب والنظام، وصب الاهتمام على الصناعات والأبحاث الدفاعية ودفعها إلى الحركة والحيوية. وكان الاهتمام الخاص الذي يوليه الإمام الخميني (قده) والشعب للشهيد شمران فضلاً عن منصبه الرفيع وقدرته وكفاءته سبباً في إثارة التحركات الغامضة والمشبوهة الرامية إلى المساس بشخصيته الناصعة.

وباتت هذه الهجمات العدائية التي كانت تُشن ضده على صورة دعايات صحافية من الشدة بحيث أثرت حتى على بعض أصدقائه الجهلاء والتجمعات الإسلامية غير الواعية فراحوا يكررون هم أيضاً نفس هذه التهم والأكاذيب ببلادة تامة. وكان هؤلاء قد بدأوا حملتهم من لبنان وجعلوا من حادثة "تل الزعتر" مقمعة ينهالون بها على رأس كل من يدافع عنه. والمثير للدهشة أن غالبيتهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن تل الزعتر ولا عن حقيقة الامر. ثم ما لبثوا أن توسلوا بحادثة "قارنا" وتسليح اقطاعيي كردستان؛ وكانوا قد خططوا لترويج كل هذا الأكاذيب في كل مكان بحيث لا يجسر أحد على الاقتراب من مواقع الأزمة وإسداء النصح. كما أن بعض التنظيمات على غرار "پيكار" كانوا ينوون اغتياله ولكنهم فشلوا في مسعاهم.

ورشح الشهيد شمران نفسه بشكل مستقل في الدورة الأولى لانتخابات مجلس الشورى الإسلامي؛ ورغم كل هذه الأجواء المسمومة وبدون التوسل بالحملات الدعائية فانه نجح في دخول المجلس ممثلاً عن طهران بعد أن منحه أهاليها الأوفياء أكثر من مليون صوت.

يقول الشهيد شمران بهذا الصدد:

"إلهي، لقد غمرني الناس بحبهم الزائد وأغرقوني بلطفهم وعطفهم حتى جعلوني أشعر بالخجل وأحسب نفسي من الصغر بحيث لا أستطيع رد هذا الجميل. فامنحني يا إلهي الفرصة والمقدرة على أداء هذا الدين حتى أكون لائقاً بكل هذا العطف والمحبة".

واستشهد إيرج رستمي قائد منطقة دهلاوية فشعر الشهيد شمران بالألم المفجع جراء ذلك، ولكنه اختار قائداً آخر ليحل محل الشهيد رستمي في جبهة دهلاوية.

وكان الشهيد شمران قد وجه عدداً من الوصايا التي لا سابق لها إلى زملائه في آخر اجتماع لمقر الحروب غير المنظمة قبل رحيله إلى دهلاوية بليلة واحدة. ويقال إن الجميع كانوا يودّعونه لدى خروجه ثم شيعوه إلى مرمى البصر بعيون مغرورقة بالدموع.

وتحرك الشهيد شمران نحو سوسنكَر، والتقى في الطريق بالمرحوم آية الله إشراقي والجنرال الشهيد فلاحي، فقبل أحدهم الآخر للمرة الأخيرة، ثم واصل طريقه حتى بلغ مذبح العشق. وكان كافة المقاتلين قد اجتمعوا في قناة خلف دهلاوية، فعزّاهم وبارك لهم استشهاد قائدهم إيرج رستمي، ثم قال لهم بصوت محزون ومختنق ونظرة عميقة سابحة في الضياء:

"لقد أحب الله رستمي فأخذه إليه، وسيأخذني إليه أيضاً إذا ما كان يحبني".

الشهادة

وانتهى كلامه؛ ثم ودع كافة المقاتلين وقبل ما بين أعينهم بعد أن قدم القائد الجديد لرفقاء الجهاد، ووقف على الخط الأمامي للجبهة عند أقرب نقطة للعدو خلف ساتر ترابي، وحذر المقاتلين بصفته قائداً محنّكاً يدرك القضايا والأمور المهمة في حينها بألاّ يتقدموا عن هذه النقطة لأن العدو يُرى بالعين المجردة، ولاشك أن العدو قد رآهم أيضاً. وانهمر سيل القذائف؛ وبينما كان يوجه إليهم أوامره بالتفرق وكان هو أيضاً متجهاً إلى أحد الملاجئ أصابته شظية في رأسه من الخلف، فارتفع صياح المحيطين به ممن شاهدوا ما حدث، وأوصلوه بسرعة إلى سيارة الاسعاف؛ وكان وجهه الملكوتي المبتسم بملامحه الواثقة والمخضب بالدم والتراب يتحدث إليهم بعمق، رغم أنّه لم ينبس ببنت شفة ولم ينظر إلى أحد.

وفي مستشفى سوسنكَرد، الذي سمي فيما بعد بمستفى الشهيد شمران، قدمت له الاسعافات الأولية ثم اتجهت سيارة الاسعاف نحو الأهواز. وللأسف فإن جسده فقط هو الذي وصل إلى أهواز، بينما كانت روحه تحلّق في الملكوت الأعلى بكفنه المدمّى، الذي كان لباسه في القتال، ملبيةً نداء ربها ﴿**ارجعي إلى ربك راضية مرضية**﴾.

أقوال خالدة في الشهيد القائد الدكتور مصطفى شمران

- الإمام الخميني [قدس سره] : مصطفى شمران عاش مرفوع الرأس ومات مرفوع الرأس.
- السيد محسن الحكيم [قدس سره] : مصطفى شمران كان مثالاً للمقاتل الرسالي.
- الرئيس نبيه بري : جئت يا مصطفى الفارسي ، يا سلمان هذا العصر لتوقف هجرتنا بين الريف والمدينة .. وكنت فينا كأحدنا.

- الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين : مصطفى شمران لم يكن مجاهداً كبيراً فقط بل كان قائداً إسلامياً.
- الشيخ عبد الأمير قبلان : إن الشهيد شمران هو عجينة وطنية من مدرسة الإمام موسى الصدر .
- المطران يوحنا حداد : شهادة مصطفى شمران هي شهادة العدل ضد الظلم شهادة الحرية ضد الإستعباد.
- الدكتور مهدي بازركان : مصطفى شمران هو بمثابة أب وأخ لي رغم أنه أصغر مني سناً.
- داود داود : مصطفى شمران ذلك الإنسان المثالي الذي جسد الإسلام قولاً وعملاً وممارسة وسلوكاً .
- الدكتور أيوب حميد : مصطفى شمران سما بروحه إلى خالقه مع القديسين والصالحين.
- السيدة رباب الصدر : الشهيد مصطفى شمران جاهد مع الإمام الصدر لأنه صرخة من ندائه وصوت من أصواته.
- النائب زاهر الخطيب : مصطفى شمران وجدت فيه كل مزايا الإنسان الزاهد الورع التقي التقي.
- الشيخ أحمد الزين : مصطفى شمران هو صلة الوصل بين ثورتنا في لبنان وثورتنا في إيران.
- غادة جابر زوجة الشهيد : مصطفى الإنسان هو أب الأيتام والمحرومين والمعذبين وقائدهم نحو طريق الحق .
- المهندس مهدي شمران شقيق الشهيد : مصطفى شمران لم يكل ولم يمل في السير إلى طريق الحق والعدالة والجهاد .
- الشيخ حسن المصري : الشهيد مصطفى شمران زرع في تراب جبل عامل معناً للصمود والوفاء للأرض ومقارعة الظالمين.

- السيد أحمد زكي تفاحة : شهادة شمران شهادة نورانية مشعة تضيء الدروب للسالكين.
- الحاج عاطف عون : مصطفى شمران ذهب إلى جنات الخلد حاملاً زاد التقوى ولباس التواضع والشهادة بين يدي الله.

من أقوال الشهيد القائد الدكتور مصطفى شمران :

أنا تراب أحذية الفقراء.

مشتاق إلى الجنوب أبكي المأساة . مشتاق لأضحي بدمي لخلاص الجنوب من أعدائه .

من فوهة بندقية حركة المحرومين ... الأن إسرائيل وغداً الشاه.

سنزيل إمبراطورية الشاه التي ترعب العالم وإن الفضل الأول هو للأمام موسى الصدر ولأهل جبل عامل.

أنا أتيت من أرض الحرمان والنضال والدم في الجنوب.

قبل إنتصار الثورة في إيران كان نسور أمل وما زالوا يقدمون قوافل من الشهداء ليرسموا يرسمون خطنا الإسلامي الأصيل.

الى جنان الخلد يا فارس أمل في محراب صلاتها ..

شمران منا يا أهل الجنوب

البيان الذي أصدره قائد الثورة الإسلامية

بمناسبة شهادة الدكتور الشهيد مصطفى شمران:

واصدر قائد الثورة الإسلامية الكبير بياناً بمناسبة استشهاد الدكتور مصطفى شمران فيما يلي بعض سطوره:

"لقد اختتم شمران العزيز طريق الجهاد الذي شقّه لنفسه منذ بداية حياته بإيمان واثق بالهدف الإلهي العظيم وعقيدة طاهرة نقية بعيداً عن التلوث بالانتماء إلى الأجهزة والتنظيمات السياسية المختلفة؛ فلقد شقّ طريقه في الحياة مستضيئاً بنور المعرفة والزلفى إلى الله تعالى والجهاد في سبيله حتى ضحى بنفسه من أجل ذلك.

لقد عاش عزيزاً مرفوع الرأس واستشهد شامخاً مرفوع الرأس فوصل إلى الحق تعالى.

إن العظمة تكمن في الجهاد في سبيل الله بعيداً عن الضجة والضوضاء السياسية والتظاهر الشيطاني، والتضحية بالنفس في سبيل هذا الهدف لا من أجل الأهواء النفسية؛ وهذه هي منقبة البشر الإلهيين.

لقد لحق بالرفيق الأعلى رافلاً في حلل العزة والكرامة، فرحمة الله عليه وجلّت ذكراه.

وأما نحن، فهل بوسعنا أن نتحلّى بمثل هذه الفضيلة؟ إن الله تعالى هو وحده الكفيل بالأخذ بأيدينا وإخراجنا من ظلمات الجهل وهوى الأنفس".

والسلام على عباد الله الصالحين

مناجاة عرفانية: للشهيد الكبير مصطفى شمران

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمات لم أكتبها ليقرأها أحد ويترحم علي، إنما كتبتها لأسكن قلبي الملتهب وأهدىء بركاني الداخلي.

في اللحظات التي يشتد فيها الألم والعذاب إلى أقصى حدوده، تتصاعد نيران قلبي المشتعل لهيباً، ولا أستطيع التحكم في بركان داخلي المتفجر، عندها كنت ألجأ إلى القلم، وعبره كنت أقلع شرارات عذابي واحدة واحدة وأصبها على الورقة... ورويداً رويداً أعود إلى حالة الهدوء والسكون..

كل ما كان في قلبي كنت أكتبه على الورقة وأضعها أمامي. وفي أحلك ساعات الوحدة، وقت المناجاة، كنت أرى انعكاس وجودي على هذه الورقة، فتخرجني من وحدتي...

لم أكتب هذا لأمنن به على أحد، إنما المنة علي للورق لأنه تقبل ألمي وعذابي..

هنا، القلب يحترق، الدموع تغلي، الوجود يصبح رماداً، والإحساس يتكلم..

هنا، لا وجود للفخر والترفع والإدعاء.

فالصرخة التي تدوي في السماء تنبع من قلب ملؤه ألماً.

ما أجمل مناجاة ذلك الدرويش المحترق قلباً في منتصف الليل.

صيحة ذلك الثوري الاستشهادي في ساحات الموت.

الاعتراض القاسي للمظلوم تحت سيف الظالم.

الصرخة الهادرة للحق، الصادرة من حنجرة الفدائي،

على كل ظالمي العصر.

وما أجمل غسل اليد من الروح وتطليق الدنيا ثلاثاً.

التحرر من كل قيود الحياة.

قتال الظالمين بدون خوف وألم.

رفع راية الحق في ساحات الخطر والموت.

قول لا لكل الطواغيت.

الذهاب إلى الشهادة بكل فخر وسرور.

ها هنا، لا وجود لمصلحة لتفتدى الحقيقة بها، ولا خوف من أحد ليكتم الحق من أجله.

هنا، الحق والعدل كالشمس يشعان، وكل القدرات والمقدسات المزيفة تسقط، ولا سلطة وقدرة لغير الله.

إني أحب تلك الحرية، ومسرور لأني جربتها في أيام حياتي الصعبة.

يطيب لي أن أُفصَلَ وأُقطع عن كل شيء، ولا يكون لي أنيس ومساعد سوى الله.

يطيب لي أن أطلق الأرض تحتي والسماء العالية فوقي وأن أتحرر من كل متعلقات الحياة والدنيا.

يسرّني أن أذهب مجهولاً إلى الضعفاء والمظلومين لأشاركهم عذابهم وألمهم، وأن أحارب مع الثوريين الأفارقة وأنال الشهادة معهم.

يسرني ويطيب لي أن يحرقوني وينثروا رمادي في الهواء حتى لا يكون لي مساحة قبر في هذه الدنيا.

أحب أن لا يعرفني أحد، ولا يعرف أحد عن غمي وهمي، ولا يطلع أحد على مناجاتي في الليل، ولا يرى دموعي المحرقة في الليالي أحد، ولا يحبني أو يلتفت لي أحد، وغير الله لا يكون لي أحد، ولا مناجاة لي مع غيره، ولا أنيس لي وملجأ سواه.

أحب ويطيب لي أن أتحرر من كل القيود وأجلس على رأس جبل أراقب غروب الشمس في بحر الوجود، وأهب حياتي كلها لهذا الجمال الإلهي الذي يدغدغ وجودي ويفتح قلبي المحترق ويحرر بركاني المشتعل ويصب دموعي لتكون عصارة حياتي، ويحل العقد والضغوط عن قلبي وروحي ويخفف عني الغموم والآلام القاتلة، ويحول الغم عندي إلى عرفان، والألم إلى فداء.

عندها ليأخذ ذلك الجمال حياتي، ويستلم كل وجودي، ولتحلق روحي في أنواره عابرة إلى الحياة الأبدية بطمأنينة وسلام، لتصل إلى المعراج وترتاح من ألم الوجود، وتبقى لساعات وساعات على ذلك الحال من السير إلى الملكوت.

يطيب لي في وسط الليالي حيث الأرض والسماء في سكون أن أقوم للمناجاة لأتحدث مع النجوم وأفرج عن قلبي بأسرار السماء، وأسير وأصعد ببطء في عمق المجرات نحو العالم الذي لا نهاية له وأترك عالم الوجود وأغوص في وادي الفناء حيث لا أحس بشيء هناك سوى الله.

إلهي إغفر لي ذنوبي التي أحاطت بي ولا علم لي بها، وذنوبي التي بألف دليل أبررها، ولا علم لي بقباحتها.

إلهي أخجل وأستحي من نفسي أت أقف أمامك بعد كل هذه الرحمة والعناية بي، وأنا أصغر من أن أشكرك لأن الشكر مني تقصير وإهانة لساحتك المقدسة.

إلهي، إن الناس إحترمتني ولطفت بي كثيراً وإنني لأخجل من ذلك وأرى نفسي قاصرة عن القيام بما عهدوه إلي، لذلك يا إلهي أطلب منك الفرصة والقدرة على ذلك، وأن تجعلني أهلاً لهذا الحب والاحترام.

إلهي سنوات عديدة قضيتها بالغربة مجاهداً مع مستضعفي العالم وقد تركت كل شيء لأجل ذلك وعشت على أمل أن أعود يوماً ما إلى إيران وأهب كل طاقتي واستعدادي لها.

إلهي، نظرت في ثورات مصر والجزائر وبعض الدول الأخرى ورأيت كيف أن قواد هذه الثورات اختلفوا مع بعضهم ووقع القتال والدم بينهم وأثبتوا عدم رشدهم الثوري والإنساني وأسعدوا بذلك الأعداء. وإن أمنيتي أن يبقى قواد ثورتنا المباركة في الأيام المقبلة متحدين قد نسوا أنفسهم وأمنياتهم الشخصية، ويثبتوا للعالم إختلاف هذه الثورة عن بقية الثورات، حيث هنا الله والمذهب والهدف يتغلب على حب النفس والغرور ويكونوا نموذجاً للتكامل الإنساني.

إلهي قد كنت أتمنى أن يتحرر بلدي لأعمل على بنائه بعيداً عن كل الكذب والتزوير والتهم والعداوة ولأتقرب إليك أكثر.

إلهي إنك تعلم أن وجودي متعلق بلطفك، واسمك قد قرأوه في أذني لحظة ولادتي، وذكرك عُقد في قلبي.

إلهي تعلم أني لم أنسك لحظة في حياتي وأنت وحدك من أعانني في غربتي ووحدك كنت أنيسي في الليالي المظلمة تسكّن أوجاعي وتحفظني في ساعات الخطر، وأنت وحدك كنت ترى دموعي وتضمد قلبي المجروح.

إلهي تعلم أني أثناء حياتي المليئة بالمصاعب لم أنسك لحظة واحدة.

ثرت وجاهدت في كل الأماكن دفاعاً عن الحق والدين والمذهب، وبينت لكل المخالفين كمالك وجمالك وجلالك دون الخوف من التهمة والأذية.

في تلك الأيام التي كان الملتزم فيها يعد رجعياً ومتخلفاً، وقليلون هم الذين تجرأوا ودافعوا عن الدين. كنت في كل الأمكنة حتى في بلاد الكفر رافعاً راية الإسلام. وبالإرشاد المنطقي والقلبي جعلت المخالفين يحترمونني. وتعلم يا إلهي أن كل ذلك لأجلك ولا محرك لي إلا أنت.

إلهي لا أريد أجراً لقاء آمالي وأفعالي، ولا أفتخر بها، فكل ما عندي منك، والتوفيق والقوة والوجود منك، وليس لي شيء من نفسي لأطلب الأجر عليه.

إلهي أعتذر إليك لأنني أجزت لنفسي أن تناجيك، فقد ادعت كثيراً وأظهرت وجوداً لها مقابلك، مع علمي أن وجودي هو منك وبدونك فإني لا شيء.

والعجب أني أتحدث عن نفسي فأطلب وأتمنى.

إلهي عشقتني لأحترق في قلب العشاق.

وجعلتني دموعاً لأغلي في عيون اليتامى.

وجعلتني صرخة آه التي تصعد من صدور الأرامل إلى السماء.

إلهي جعلتني الصرخة لأكون كلمة الحق في وجه كل الجبابرة.

إلهي جعلتني حجة حتى لا يخدع أحد نفسه.

إلهي جعلتني مظهر قيمك ومقياساً يقاس به الإخلاص والعشق.

إلهي أنت الذي حرقتني بنار العشق ورميتني في طوفان الحوادث، وفي حفرة الغم والألم جعلتني، وفي بحر المصيبة والبلاء أغرقتني، وفي صحراء الفقر والحرمان والوحدة حرقتني.

إلهي أنت الذي علمتني أن الأنا متاهة وسريعة الزوال، وأن الزمان لا يدوم، وأنت الذي علمتني قيمة الشهادة والإستشهاد.

إلهي شكراً لك لأنك حررتني من كل القيود، وتركتني في الحوادث الخطرة، وأغرقتني في محاربة الظلم والكفر، وفهمتني حقيقة واقع الحياة.

فعلمت أن السعادة في الحياة لا تنال بالفرح والهدوء والراحة ولكن بالألم والمصيبة والعذاب وقتال الظلم وبالشهادة.

إلهي لك الشكر لأنك خلقت الدمع فهو عصارة الحياة الإنسانية.

ففي ساعات احتراقي بالعشق وشدة الألم، أو في لحظات ذوباني في الجمال والعرفان، أصبح ماءً وروحاً ويسيل وجودي بشكل دمع وهو أفضل ما تعطيه هذه الحياة.

إذا أراد الله العزيز مني سنداً فسأقدم قلبي، وإن أراد مني عمري فسأقدم دموعي.

إلهي أنت أسلت دموعي فنزلت على الإنسان كنزول المطر على الأرض اليابسة، وأنت الذي جعلتني أصرخ فأصبح كالرعد هادراً.

أنت الذي جعلتني في حالة الألم والغم لأكون مع المحرومين.

أنت الذي عشقتني لأحترق في قلب العشاق.

أنت الذي جعلتني نوراً لأضيء في هذه السماء المظلمة، وأكشف ظلمة هذا الليل الطويل.

إلهي أنت الذي زهدتني ليكون لي وجود في ساعات الألم والغم والهزيمة، ولأكون وحيداً معك في ساعات النصر وتقسيم الغنائم.

إلهي لك الشكر لأنك أخذت مني الألم والغم الشخصي حيث كان قبيحاً وقاتلاً وأعطيتني الألم والغم الجميل الإلهي.

إلهي أنت الذي حرقتني بنار العشق ورميتني في طوفان الحوادث، وفي حفرة الغم والألم جعلتني، وفي بحر المصيبة والبلاء أغرقتني، وفي صحراء الفقر والحرمان والوحدة حرقتني.

إلهي لك الشكر لأنك جعلتني حجر الرحى، وقدرة تحمل كل العذاب والآلام والضغوط أعطيتني، فصرت أفر من مجالس الفرح والسعادة إلى مراكز الخوف والبلاء والعذاب.

إلهي لك الشكر لأنك خلقت الغم والهم وجعلتني من عبادك المخلصين الذين يتحملون ذلك.

إلهي كنت أحترق بعذابي الشخصي، فأغرقتني بألم وعذاب المحرومين والمظلومين والمنكسرين حتى نسيت عذابي الشخصي.

أنت الذي عرّفتي على عذاب وآلام كل مظلومي التاريخ، فعرّفتني بعلي وحسين، ووضعت على قلبي آلام زينب وعذابها.

أنت الذي مع التاريخ وحّدتني.. فنسيت نفسي فيه وأصبحت مع الأزل واحداً، فلك الشكر على هذه النعمة الكبيرة.

إلهي لك الشكر لأنك أعطيتني الألم ونعّمت علي بدركه، ولك الشكر لأنك أحرقت روحي بنار الغم وأحرقت قلبي ليبقى موطناً لك فقط.

إلهي شكراً لك على كل ما أعطيتني،

جسم سالم جميل، رِجل قوية وشديدة، ساعد قادر، يد خلاقة، فكر عميق وذهن حاد ودرجات علمية رفيعة، ونعم كثيرة من الجمال والكمال،

فلك الشكر على كل ذلك.

أما يا إلهي الكبير، أعطيتني شيء لا أستطيع أن أشكرك عليه وهو الألم والغم الذي امتزج مع وجودي فأصبح لا يبغي إلا الحقيقة، ولا طريق له إلا الفداء والجهاد، ولا ينبع منه شيء سوى العشق.

فلا أستطيع شكرك على ذلك.. وأُعطي نفسي الجرأة لتطلب منك أن لا تسلبه مني يا رب.

إلهي لك الشكر لأنك لم تحوجني إلى أحد فلا أتوقع من أحد شيئاً.

إلهي أعتذر إليك لأني أقف مقابلك وعن نفسي أتحدث وأعتبرها شيئاً فتشكرك وتقف مقابلك تحسب أنها طرف.

إلهي إن الذي أقوله يغلي في قلبي ومن روحي ينبع.

إلهي قلبي مجروح ومكسور، مظلوم محروم، فقد الأمل في كل شيء، وأمام مستقبل مظلم وصلت. أعرفك أنت فقط ونحوك فقط أسير وإياك فقط أناجي.

إلهي هذا القلب المنكسر يتحدث معك فقط، وقد ورث سنوات من المصائب والعذاب حتى وصلت إلى أعماق عظامه، فلا أمل له ولا يرى سوى الظلم والحرمان والمستقبل المظلم.

إلهي أنت الذي تسمع استغاثتي في الليالي بين كل هذه التهم والكذب والفحش، فتأتي على قلبي بنورك وتجيب استغاثتي.

أنت الذي لم تتركني في مواقع الخطر، وكنت أنيسي في صحراء الوحدة، وساعدتني في الظلمات يوم لا عقل ولا منطق كان قادراً على المحاسبة والعمل، فألهمت قلبي وسلّحتني بالرضا والتوكل، وهديتني في المسير المظلم والمجهول والمرعب.

إلهي إني متعب وقلبي مكسور ومظلوم من هذا التاريخ الظالم، ذابل من جهل هذا المجتمع، غير قادر على الصمود في وجه هذه الحوادث،

لا أمل لي في هذا الأفق المظلم والمجهول، وحدي... فقير... سجين في سجن الحياة.

قلبي المغموم يتمنى الحرية، وروحي الذابلة تطلب العروج والتحليق لتترك هذه الغربة السوداء.

يا إلهي أشكرك لأنك فتحت لي طريق الشهادة لأتحرر من هذه الدنيا نحو السماء، ولأنك أعطيتني أسعد لحظات الأمل في حياتي.

وعلى أمل الخلاص يّسرت لي تحمل كل الآلام والعذاب والتعذيب.